المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٧/٥/٩
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

التصحيح : ممارسة يومية

من الخطأ ان نعتقد ان ثورة التصحيح كانت مجرد نقطة تحول تاريخية فى حياة مصر وانتهت آثارها بتحقيق الاهداف التى حدثت من اجلها فى الخامس عشر من مايو عام ١٩٧١ فالقوى التصحيحية فى الكون عناصر ضرورية لاستمرار الحياة فيه ، وبدون وجود هذه القوى التصحيحية فان الحياة تتحول الى فوضى شاملة لاتحكمها أية معايير أو قوانين أوتقاليد بل ان الحياة فى هذه الحالة قد تصل الى نفس النهاية التى انتهت اليها حيوانات ما قبل التاريخ عندما حكم على الضعف والصغير بالفناء فى مواجهة القوى الكبيرة نظرا لاختفاء القوى التصحيحية التى يمكن ان تعيد التوازن الى هذا الوجود المختل . لهذا يمكننا القول بأن الوجود الانسانى فى هذا الكون يكتسب معناه من مواكبة التصحيحية له ، ذلك لان الطبيعة البشرية مجبولة على الشر كما هى مجبوله على الخير تماما . واذا استعرنا مبادىء علم الاخلاق فاننا نستطيع القول بأن القوى التصحيحية هى التى تعيد القيم الانسانية من حق وخير وحرية الى وضعها الطبيعى فى المجتمع الانسانى .

اذا طبقنا هذا المفهوم على ثورة التصحيح التى قادها الرئيس السادات فى مايو منذ ست سنوات خلت ، نجد انها ليست مجرد حركة تاريخية ، بل هى ارساء لتقليد حيوى وضرورى افتقدناه كثيرا فى حياتنا الفكرية والسياسية ، تنبع هذه الضرورة من اننا معرضون دائما — كبشر — لارتكاب الاخطاء المحتملة وغير المحتملة والخطوات تكمن فى ترك هذه الأخطاء تجرى فى اعنتها لان النتيجة الحتمية ستكون كارثة قومية تحل بالوطن . ان الاخطاء لاتلد سوى الاخطاء وهكذا تظل تتراكم بعضها فوق بعض حتى تبلغ مرحلة التشبع والانفجار ثم الانهيار . هذا ماحدث بالفعل فى الكارثة القومية التى وقعت فى الخامس من يونيو منذ عشر سنوات . كان السبب الاول الذى ادى الى هذه الهزيمة المنكرة ، يكمن فى غياب القوى التصحيحية تماما من حياتنا السياسية . فكانت كالعربة المندفعة التى فقد قائدها القدرة على التحكم فيها ، أو كالعربة التى اصاب العطب فرامها .

الدكتور نبيل راغب

من هنا كانت ضرورة ان تتحول ثورة التصحيح من حدث تاريخى الى ممارسة عملية فى حياتنا اليومية بكل مستوياتها . ولعل اكبر ضمان يمكن ان يحيل ثورة التصحيح الى جزء عضوى فعال من نواتنا الفكرى وتقاليدنا الحضارية يكمن فى **الحوار الديمقراطى بين الرأى والرأى الاخر** سواء على مستوى التجمعات والاحزاب السياسية أو على مستوى الافراد فى حياتهم اليومية . ان وجود القوى التصحيحية يجنب المجتمع الوقوع فى

براثن الثورات الدموية ومانتركه من رواسب بين ابناء الشعب الواحد ، وهى رواسب قد تستمر لعدة اجيال وتحدث بسببها مضاعفات قد تنفجر نيما بعد على شكل انقلابات دموية اخرى ، مما يدخل الامة بأسرها فى دوامة رهيبة قد يصعب الخروج من دائرتها المفرغة . اما فعالية القوى التصحيحية فتجنب الامة كل هذه المآسى لانها تتكفل بالتقليل من السخط العشوائى الى ادنى درجة .

فى المجتمعات ذات الحكومات الاستبدادية تندثر القوى التصحيحية وتكون النتيجة ان يلجأ الناس ، ان عاجلا أو أجلا، الى العنف ، وبخاصة عندما يعجزون عن التعبير عما يشكون منه أو يغضبهم بوسائل اخرى . اما عندما تمارس القوى التصحيحية دورها من خلال الممارسة الديمقراطية الناضجة والحياة النيابية السليمة ، المنافسة الحزبية المشروعة ، فليس هناك أى مسوغ أو سبب للناس غير الراضين أو الساخطين لان يستخدموا الرصاص وان يسيلوا الدماء طالما ان فى وسعهم التعبير عن آرائهم بحرية ، ثم تحويل هذه الاراء الى مناهج .تنفيذية لتخليص المجتمع من السلبيات والاخطاء التى تعتور مسيرته لذلك يقول الفيلسوف الانجليزى فرانسيس بيكون ان وجود القوى التصحيحية فى اى مجتمع كفيل بأن يجعل الناس اكثر هدوءا ، واقل تعرضا للعصيان والتمرد ، من الحياة التى تخضع للنبلاء المستبدين الذين لايرون فى هذا الوجود رأيا سهوى ايهم الذى لا يمكن ان يراجعهم فيه احد .

يتمثل جوهر ثورة التصحيح فى كفالة الحرية للمواطن بما لايتعارض وحرية الاخرين . فالحرية المطلقة لاتعنى سوى الفوضى والتسيب الذى يعمل على تقويض بناء المجتمع وتضليل افراده . كذلك فان سيادة القانون تجعل الفرد يحس بكرامته وانسانيته واطمئنانه الى التعبير عن نفسه بحرية دون خوف من بطش أو عقاب ولاشك فان الاحساس بالعدالة والمساواة امام القانون يدفع المواطنين الى التفانى فى خدمة الامة

كما ان للديمقراطية جانبها المثالى المجرد كذلك لها جانبها الواقعى المادى ، فهى تعنى بتوفير العمل والعيش الكريم لكل مواطن ، كما انها تدربه على حمل المسئولية ، والمشاركة فى الحكم . « بذلك تذوب الحدود بين الحاكم والمحكوم ويتحول الوطن كله الى اسرة متحابة تنهض على قواعد العقل ، والوفاء ، والحب لا على اساس الحسد ،والعنف ، والخصام » على حد قول فيلسوفنا العظيم الفارابى .

كانت ثورة التصحيح التى قادها الرئيس السادات فى مايو ١٩٧١ ، ثورة فريدة فى نوعها . فقد كانت الثورة الاولى فى تاريخ عالمنا المعاصر التى يقودها الرئيس أو الزعيم الذى يتولى بالفعل تبعات المسئولية ومقاليد الامور . كأنه بهذا اراد ان يضرب لنا المثل الاعلى والقدوة الفعلية حتى ندرك ضرورة وجود القوى التصحيحية فى حياتنا لكى نتجنب الكوارث المتوقعة وغير المتوقعة على حد سواء . لم تكن ثورة التصحيح سوى مبادرة السادات الى تعليم الشعب ضرورة الممارسة الديمقراطية وحتميتها . لم تكن هذه الثورة موجهة ضد اشخاص معينين بقدر ما كانت بهدف ارساء العلاقات الصحية الجديدة التى يطالب بها الشعب بين الحاكم والمحكوم . فقد فوجىء الرئيس السادات فى آخر اجتماع عقدته اللجنة التنفيذية العليا قبل ثورة التصحيح مباشرة ، فوجىء بأن مراكز القوى تريد أن تخنق الممارسة الديمقراطية فى مهدها ،حتى يخلو لها الجو وتمارس نفوذها

كما تشاء . فلم يكن الامر مجـرد اختلاف فى وجهات النظر فالسادات بصفة خاصـة — من القـادة الذين يؤمنون بأن الاختلاف ظاهرة قـوة وصحة ، اذ ان اعضاء الاسرة الواحدة يختلفون ومع ذلك تظل الاسرة وحدة لا تنقسم عراها لكن الامر تحـول الى صراع رهيب تريد مراكز القـوى أن تسلك من خلاله حتى تصل الى القبض على زمام الامور وسحق كل القوى التصحيحية التى يمكن أن تقف فى طريقها .

عندما تتحول ثورة التصحيح الى ممارسـة يومية فى حياتنا الفـكرية والسياسية والاجتماعيه والاقتصـاديه سـوف ندرك انه فى ظـل النظـام الديمقراطى دائما يفقد الناس حريتهم اذا لم يمارسوها ، أى انه **لاتوجـد ديمقراطية بدون ديمقراطيين** . فـاذا اهمل الناس الحوار الحر القـائم على الحقائق الرئيسـية حـول أية قضية عامة ، فان ديمقراطيتهم يمكن ان تتلاشى بالتدريج بفعـل الدعـاية وحذف الاخبـار والقرارات التى قد يتخذها الجهاز البيروقراطى فى الحكومة **فاذا لم يمارس الناس بوجه عـام حق المناقشة الحرة فانهم بذلك يبددون حقهم فى التصويت وابداء الرأى . وبالتالى فانهم يقضون على جـوهر ثورة التصحيح التى قامت اساسـا دفاعا عن حقهم القومى الاصيل فى الممارسة الديمقراطية الحقة . ولكى ترسخ ثورة التصحيح وتصبح منهجا عمليـا فى حياتنا ، لابد ان تكون السلطة امانة بين يدى الذين يؤمنـون بانها خدمه عامة للجماهير وليسـت اداة للتحكم والفطرسة . لقد وضعت ثورة التصـحيح الحد الفاصـل بين السلطة بمفهومها الانسانى الشـامل وبين التسلط بتعريفه المتغطرس الضيق وعلينا ان نحافظ على هذا المكسـب القومى بالعمـل الجـاد المثمر الذى لايقنع بالشعارات البراقة والاقوال المأثورة ، لان العمـل القـومى هو الترجمة الحقيقية التى تجعل من ثورة التصحيح ممارسـة يوميـة على كل مستويات الامة .** ■